

يتأسف على موته (١٥٢٤+) : « لا ترث حالي لاني اموت بفعل البرّ ولكن ارث حالك اذ حنثت بمهودك وخنت وطنك ومليكك »

قال فولتير (١٧٧٨+) الكاتب الشهير والكافر العظيم (نقلًا عن رواية طبيه):
« اني اموت مهملًا من الله والناس »

لما سبقت الماثم رولان الى الموت (١٧٩٣+) قالت صاخوخة : « آيتها الحرية كم من اثم يقرّفه البشر باسمك »

لما ضرب احد اعداء الهيئة الاجتماعية غرسيا مورينو رئيس جمهوريّة خط الاستواء بمدينة صرخ قبل موته (١٨٧٥+) : « ان الله لا يموت »

وكانت الكلمة الاخيرة التي فاه بها البابا لان الثالث عشر قبل وفاته السعيدة (١٩٠٣+) : « قد اتممت المهمة التي عهدها الله الي »

يَمِينُ الْعَلِيِّ

رواية تاريخية للاب س. ت السوغي

الفصل الحادي عشر

خاية عالم (تابع)

فبعد ان استولى الرومان على قلعة انطونيا اخذوا يستعدّون لحاربة الملجأ الاخير الذي بقي لليهود في اورشليم ألا وهو هيكلهم الفخم المعداد من احدى آيات العالم السبعة

فوجهوا همّتهم الى سطوح الهيكل ليدّمروها تدميرًا الواحد بعد الآخر . فعادوا الى ابتناء مصاطب تمكّنهم من نصب المجانيق عليها . وبعد ايام قليلة اصطنعوا منها ثلاثًا على ثلاث جهات من المدينة غربيها ثم شالها ثم على الزاوية الجامعة بين هذين الجانبين فركّبوا عليها ادوات الحصار من كبوش ودبابات ومجانيق كانت تنطح الاسوار وتقذف بالحجارة على من يحاول الدافعة عنها او لم يتق بنفسه من شرّها

وكانت المجاعة في مطاوي ذلك تعمل عملها فتنهك قواهم وتقتلهم أذرع قتل . وفي ١٢ تموز لم يعد الكهنة يجدون الذبائح السنونة بالشرعية فبطلت الذبيحة الدائمة التي لم تبطل منذ عهد سليمان الا في ايام جلاء اليهود الى بابل وفي ايام انطيوخس

المغتصب . فتَمَّت نبوءة دانيال حيث قال : (٢٥ : ٩) « انْ بعد قتل المسيح الرئيس تبطل الذبيحة والتقدمة وفي جناح الهيكل تقوم رجاسة الحُرَاب »

وكان طيطس كلَّما ينظر الى هذا الهيكل البديع ذي الجبال الفريد يتأسَّف على خرابه ويسعى بان يصونه من الدمار . فارسل يوسفوس اليهودي كسفير الى حنَّا الجشِّي يهدي له الامان ويخلص الباقين من بني يهوذا الا ان هذا لم يُنصت الى قوله واكتفى بان يردد عليه هذه الكلمات : « اورشليم مدينة العلي فلن يقوى عليها عدو » . كانه نسي ما تنبأ به اشعيا على المدينة المقدسة اذ قال (١ : ٧٦) : « لا تمردوا تأتوني بتقدمة باطلة . انما بمخوردكم رجس الي . . . فحين تبسطون ايديكم احجب عيني عنكم وان اكثرتم من الصلاة لا استمع لكم لان ايديكم مملوءة من الدماء »

أجل ان ايدي حنَّا من جش كانت مصبورة بدماء اخوته فابتعد عنه الله . ولذلك لما حاول بعد ايام ان يطارد الرومان رجع خاسراً فلم يبق له سوى الموت تحت ردم الهيكل . . ما لم يفتح الله له ابواب الرحمة الا انها بقيت مغلقة الى المنتهى . . . ولما كان اليوم ١٨ من تموز رأى اليهود انهم لم يعودوا يستطيعون المدافعة عن الاروقة فاحرقوا في مدة ستة ايام الرواق الشمالي والرواق الغربي . وكان بقي رواق واحد بهي الجبال ذو نقوش عجيبه فافرج الرومان كنانة جهدهم ليستولوا عليه سالماً . فجموا عليه كرجل واحد تقودهم مقدمة طيطس ونجبة عساكره . فما كاد قدمهم ان يستقر فيه حتى احرقه اليهود وسقطت كل اعمدة بضواض تذكر بقيام الساعة . فبات تحت الرواق من ابطال الرومان قوم بكى عليهم طيطس لكن ساعة الانتقام كانت اذفت وانفتح بموت هؤلاء حرم الهيكل

ثم تقدَّم الجيش وحاولوا فتح الساحة الثانية وهي ساحة النساء وكانت الجانيق ترسل قطعاً ضخمة من الحجارة على اسوار الهيكل بلا انقطاع فيسمع لها دوي عظيم في كل الجبال المجاورة . الا ان هذه الاسوار كانت اصلب من الحديد لم يقو عليها الا النار . فبعد ان امتنع طيطس مدة عن ذلك ليصون هذا الاثر الجليل سمح اخيراً لجنوده بان يحرقوا هذه الساحة واسوارها بالنار . وبعد ساعات قلائل كنت ترى الاعمدة متداعية وسقفها المبنية بخشب الارز مضطربة وما عم باب النضة ان ذاب فجرت فضته في الحرم . وبقيت النار مدة اربع وعشرين ساعة تلتهم اعمال سنوات عديدة

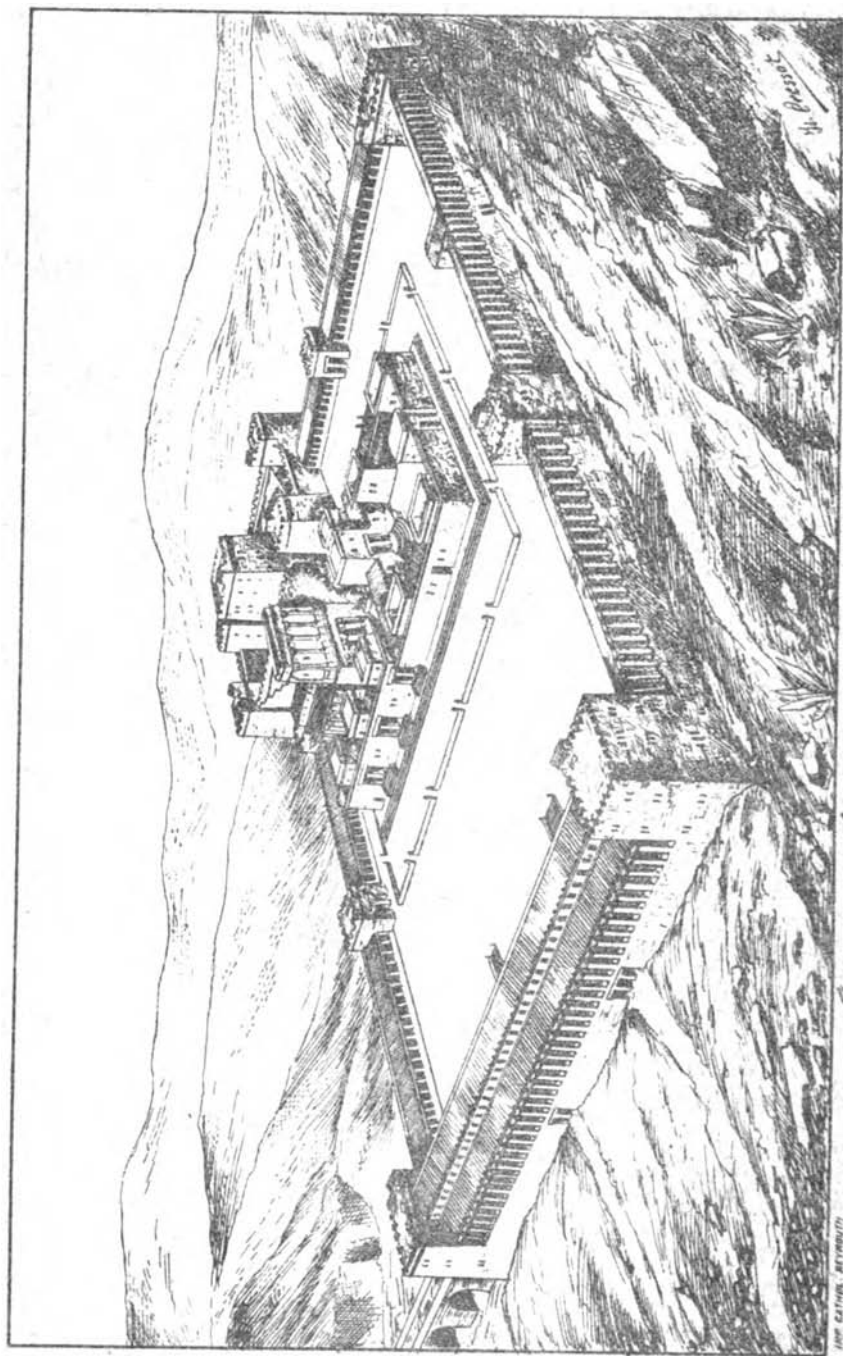
وفي اليوم الثالث من آب ازال الجند كلَّ الردم واستعدُّوا للقتال الاخير وفتح المقدس الذي كان تحصَّن فيه اليهود. وفي صباح اليوم الرابع منه اراد هؤلاء ان يُغيروا على الرومان فردَّهم طيطس خاسرين ثمَّ امر طيطس جنده بان يفتحوا الهيكل عنوةً دون حرقه. وفيما هم على وشك العمل واذا بمجندي على غير علم القائد رمى بنقطة مستعرة من احدى النوافذ فوقعت على 'شجرة لاصقة بالهيكل'. وبعد بركة من الزمن كنت ترى لسان النار متدلِّلاً يسطع لهيئها من نوافذ الهيكل فوثب الرومان من كل جانب لينهبوا الهيكل ويسلبوه قبل ان يذهب الحريق بكنوزهِ

امَّا طيطس فاستاء من هذا النظر واراد ان يكفَّ جنوده لكن صوته بات ضائعاً في هذه الجلبة العظيمة فاضطرَّ الى ان يبقى ساكناً واجماً يحرق الأرم اذ هو ينظر الى خراب اجل اثر كان اقامه البشر لعبادة اله العالمين. ولذلك ذهبت اوامره ادراج الرياح لما اراد ان يمنع قتل اليهود المحتشدين في المقدس

فكنت ترى نحو ٢٠,٠٠٠ رجل شنت نفسم من مشقات حصار دام نقياً وخمسة اشهر ذاقوا فيه انواع البلايا والنكبات فتحاملوا على اعدائهم ليشفوا منهم غليلهم فزحفوا عليهم كالسيل الجارف واخذوا يصطلمونهم بالسيوف ويحسُونهم بها حساً فيوردونهم موارد لا صدر لها. وكان اليهود يحاولون الفرار من مناهل الموت فهذا يصرخ وذاك يولول ولات حين مناص. فان الرومان كان يسبحون في دماء القتلى ولا يزيدهم منظر الدم الا فظاظةً وغيطاً كالنمر يسكره دم فريسته فلا يرعوي حتى لا يبقى ولا يذر

وبعد هذه المذابح البشرية وهذا الحريق الذي جعل جبل موريا كشعلة نار سكن غضب الجنود واخذوا يتوقعون فتحاً اخيراً الا وهو فتح قلعة صهيون. وكان اليهود المدافعون عنها لم يتعظوا ببرة اخوتهم بل ارادوا ان يموتوا مثلهم كرماء. ودام هذا الحصار الاخير شهراً ونصف وكان اليهود مع ما نالهم من الضنك واصناف البلاء يدافعون عن قلعة داود ملكهم دفاع الاسد عن اشباله وتجددت هناك مساعي الرومان وبلاؤهم الحسن وفوزهم كما جرى في الهيكل حتى فتحو عنوةً ذاك الحصن الحصين

مبكل اورشليم الذي اخره الرومان على عهد طيطس (نقلا عن المبيدي فوكره)



وجعلوا اليهود لسيوفهم جزراً ولماحهم دريئة . ثم أعلنوا فوق تلك الدوم بطيطس قائدهم امبراطوراً في ١٥ ايلول سنة ٧٠ م . وبذلك تم الفتح الاورشليمي

الفصل الثاني عشر

بارقة امل

وكانت اخبار حصار اورشليم تبلغ الى بيروت متواصلة تترى تفيد اهلها عما يصيب الرومان من النصر المين وما يلحق باليهود من الحن التوالية جزاء لعنادهم . وكانت هذه الانباء تنزل الولايات بالاسرائيليين المنبئين في جهات الشام وفلسطين فكتت تراهم يسرعون الى المهجرة لئلا ينالهم شي . من غضب جنود طيطس واعداً قومهم . وكان اكثرهم يقصدون مصر لينضثوا الى جماعاتهم القوية التي هنالك اما البيروثيون واكثرهم من اولاد الرومانيين المستعمرين فكانت هذه الاخبار تنعم قلوبهم بالفرح فيتلقون بفروغ الصبر كل جريدة حربية يرسلها القائد من بيت المقدس ويتباحثون في معانيها ويتأولون لها التأويل المتعددة . وكان بعض قدماء الجنود الذين سكنوا قلعة اورشليم على عهد بيلاطوس وخلفائه يرسمون صورة المدينة والهيكل ويشروحون لاصدقائهم كل حركات الجيش الروماني . وكان غيرهم يندرون البيوت بالمشاعل ليلاً اشارة الى فرحهم اما الاتقياء من الشعب فكانوا يكثرزون من زيارة المعابد ليشكروا الالهة وبالاخص المشتري والمريخ اله الحرب على انتصار العساكر الرومانية وفي بعض ايام الحريف كان اهل بيروت قد اجتمعوا في مآب اغريبا ليحضروا الالاب التي اقامها المجلس البلدي . وكان احد وجوه بيروت اسمه سترو ييلوس من اهل الثروة دفع نحو مئة الف درهم ليحظى عند العامة واستجلب على نفقته قوماً من المصارعين فنصارت مئة منهم مع وحوش ضارية كانوا اصطادوها في بادية الشام بينها غمرة وذئاب واسد عظيم الجثة . فطرب الشعب لهذا المنظر الوحشي مع ان اثنين من المصارعين ذهبا فريسة الضواري . ثم عقب هذه المصارعة صراع آخر اشد تأثيراً اذ تل الميدان غيرهم من المصارعين فتجالدوا بالسيوف وتضاربوا بالرماح ولم يكفوا حتى وقع منهم سبعة في ساحة الميدان مطعونين بالحراب

وهذه الالاب البربرية كان يحضرها الاهلون ويسرون بها دون شفقة على المصارعين كأنهم ليسوا من بني جلدتهم . وكان سترو ييلوس تأتق في ذلك اليوم في

انواع الالعب واكثر من المناظر الفاجعة . فمن جملة ما سعى به آتة امر جوقة من المشخصين ان يثاوا رواية فكاھية للشاعر پلوتوس الروماني . وفي بعض محاضر هذه الرواية يرى عبد مصلوب يفتسه دب . فاراد ستروبيولوس ان يكون هذا المشهد حقيقياً لا في الصورة فقط فاشترى عبداً من احد النخاسين واصطاد دبا من دبة لبنان جوعه مدة ثلاثة أيام ليطلقه وقت الرواية على العبد بعد صلبه وتسميره بالماسمير

وكان الشعب يحضر تفاصيل هذه الرواية وكلة عيون وهو ينتظر بفروغ الصبر ظهور الدب اذ تقدم بفتة في وسط الملعب ساعر واعلن للحضور بصوت جهور « ان اورشليم صارت في قبضة الرومانيين وان هيكلها العظيم ذهب فريسة النار »

فما طرق هذا الخبر مسامع القوم حتى نسوا الالعب واطلقوا العنان لفرحهم فكان بعضهم يصرخون وبعضهم ينشدون الاغاني الحماسية . وكانت النساء تلعب بتناديلهن او يتهلن باصوات الطرب والبعض منهن كن يقطعن اسوارهن او قلائدهن فيرمينها للبشر

وكان اليهود في تلك الاثناء قد بلغ الخوف منهم كل مبلغ فاسرعوا الى اسراب بيوتهم وتحصنوا فيها . ومنهم من كان توارى تحت بواليع المدينة او في المداخل ينظرون من دققة الى أخرى منتهى اجلهم . ولما قضا على ذلك ساعات عديدة واحسوا بان الخطر الذي يتهددهم قد زال اساغوا ريقهم وسكن جأشهم

الا ان الخبر المشؤوم بسقوط مدينة قدسهم اثر فيهم فوق الخطر الذي نجوا منه . فكنت تراهم يكون البكاء المر ويددون اقوال ارميا النبي ومراثيه على اورشليم بعد ان احرقها نبوكدنصر بالنار . وكانوا يتمنون لو أتيح لهم ان يموتوا مع اخوانهم تحت ردوم الهيكل . فترى ماذا تفيدهم الحياة اذ لم يبق لهم عاصمة ولا ملك ولا ذبيحة او ليس الموت الاحمر احلى من العيشة بعد ان خابت آمالهم واهملهم رب اسرائيل وسلمهم الى اعدائهم

تلك كانت الهواجس التي تخالج عقول اليهود وتكاد ترميهم في اليأس والقنوط . امأ صاحبة دار الورود يهوديت فان خبر سقوط اورشليم مع ما سبب لها من الحزن لم يذهابها اذ كانت قرأت في الانجيل منذ يوم اطلعت على كتب النصرى ما قاله المسيح عن تلك المدينة الائمة وكيف بكى عليها وتنبأ بما سيحل بها وبهيكلها حيث لا

يبقى منه حجر على حجر . فكانت اقوال الانجيل كمرهم لوجعها بل زادت . ايماناً اذ رأت كيف انّها صدقت بالحرف

ولكن ان كانت يهوديت قد وجدت في ايمانها الجديد تفرّةً عن مصائب شعبها وبلايا اورشليم المدينة المقدّسة كان لها حزن آخر اخمده مدّة فرح المعمودية . ألا أنّه عاد ثانية واستولى على قلبها وامض عيشتها . زيد امر والدها فان تنصّر يهوديت زاد في حبّها لعلّة وجودها فكانت تودّ ان ترى اباهما ليس فقط ليكون سنداً لحياتها بل ايضاً ليحظى مثلها بانوار الدين القويم

وكانت الاخبار السيّئة التي تأتيها مرّة بعد أخرى من المدينة المقدّسة تريدها قلّة وخوفاً على حياة ايها الثمينة وبقص مضجعها وتكحل عينها بالسهاد . ألا انها لم تقطع الامل بالله . فكانت تعلل نفسها بالاماني . . . فيظهر لها تارة ان اباهما فرّ في جمّة من نجوا من احوال الحرب وعدد القتلى فلقوا بالديار المصريّة . وتارة انه وقع سالماً في يد الرومان فصار في جمّة سبيهم ولعلّه يفدي نفسه بمبلغ من المال . فكانت هذه الافكار تشغل قلب يهوديت ليلاً مع نهار وهي مع ذلك تستعزّ بالصلاة الى الربّ القدير وتطلب من المسيح ان لا يخيّب آمالها ويردّ صلاتها

فبقيت الفتاة على هذه الحالة أياماً يتنازعها عاملو الخوف والرجاء وهي لا تجد راحة لقلبها ويزيد حزنها على قدر انقطاع الاخبار عن ايها حتى عيل آخر صبرها فلم تُطق البقاء على هذه الحالة فاستدعت وكيلها سلوانس وامرته بان يطلب لها جوازاً من حاكم بيروت ويعدّها لمحفة تركبها فتذهب وآياه الى ملاقاته عسكر الرومان المظفرين لتبعث عن والدها او تتخلّصه من رقّ العبوديّة ان كان في ايدي طيطس

على ان دورتيّا أمتها توسّلت اليها بألا تبأشر هذا السّفَر الشاقّ مع ما هي عليه من نخافة الجسم وانتهاك القوي بعد ما قاسته من الاوجاع منذ خمسة اشهر . فلا غرو انّها تسقط في طريقها فتخورد قواها وتحاطر بحياتها

فانصت يهوديت الى قول أمتها لكنّها تقدّمت الى سلوانس بان يسافر على جناح السرعة فيتحرّى الاخبار ويتحقّق ما جرى لايها فاذا كان حياً لا يدّخر وسعاً في نجاة حتى أنّه اذا لزم الامر يدخل على طيطس نفسه ويطلب منه خلاص اسيره

قام العبد الامين من ساعته واصلاً سيده براه وهو يفكر في طريقه ما يصنع في

سبيل نجاة سيده وارضاء سيده . فوصل الى قيسارية بعد يومين
فحاول ان يدخل في معسكر الرومان الا ان الحرس لم يسمحوا لاحد ان يقارب
الجند او يختلط بالاسرى الذين كانوا مربوطين في ساحة كبيرة كالغنم المهيأ للذبح .
وكان عددهم الوفا مؤلفة بين نساء وصبيان وكهول وشيوخ

فعرف سلوانس انه لا يقدر ان يجتمع بالاسرى فيستعلم عن امر صموئيل سيده
لكنه اخبر ان في غدير تقام سوق لبعضهم فمن شاء ان يشتري منهم احدا دفع ثمنه
فخفق قلب سلوانس لهذا الخبر ولاحت له بارقة أمل لعله يتوصل الى فك اغلال
سيده . فعضى ليلته كانه قد افترش القتاد ولما كان الصباح تسارع الى الساحة المعدة
لبيع الرقيق فوجد المكان خلوا ليس فيه احد فانتظر بفورغ الصبر الاجل الموعود . فامر
عليه ساعة حتى جاءت فرقة من الجند ونصبوا هناك خياما على شكل العريش يستظل
تحتها الباعة من اشعة الشمس

ولما اتت الساعة رأى سلوانس قوما من التجار وبايديهم اكياس الفضة قصدوا
المكان وعلى وجوههم تلاوح ملامح الطمع بالربح . ثم نظر الجند يقدمون بالاسرى
مكبلين اثنين اثنين وهم يرسفون بقيودهم . فلما مروا امامه جعل يحدهم بالنظر لعله
يرى صموئيل سيده المنكود الحظ . فكان الاسرى يتوالون متتابعين وهم على اسوار
حالمهم وجوههم مصفرة وعيونهم غائرة يشون حيارى سكارى لا يكادون يعون لنفوسهم
لكثرة ما اصابهم من الاذى والادجاع

ولكن خاب امل سلوانس فان هؤلاء الاسرى كانوا كلهم من الشبان لا يتجاوز
عمر الاسن بينهم ثلاثين سنة . فخامره الحزن وتولاه الكآب اذ لم ير سيده . فقرى
كيف يعود الى بيروت وهو صفر اليدين . فقامت يهوديت كدرا من هذا الخبر

ثم افكر سلوانس في نفسه قائلاً : لعل عيوني خدعتني وان صموئيل كان من
المأسورين لكنني لم اعرفه لما ناله من سهام اللون وكثرة الادجاع التي تكون اضنكت
قواه فقيرت هيئته . وعليه اتبع الاسرى واجلس بين التجار لأرى الاسرى واحداً واحداً
فجعل الجند يأخذون الاسير ويجردونه من ثيابه ويعرضونه على مصطبة هناك
فيقوم التجار ويمسحون اعضاءه ويفحصون كل عضلات جسمه كما يفعلون بالحيوان ثم
يشتمن الشمن ثم يساموه التجار ويبيتون نقانصه : هذا ضعيف البنية . . . وذلك مصاب

بداء دفين... حتى يَتَّفَقَ البائع والمشتري على ثمن هذه السلعة البشرية فيدفع المشتري حَقَّها ويجعلها ملكه يتصرَّف فيها كيفما يشاء حتى يجوز له قتل عبده دون ان يسأله احد عن فعله

وقد شاهد سلوانس في هذا المعرض ما يَتَّيْت الاكباد ويلين له الجلود فكان يرى الوالد مفصولاً من ولدو والام من ابنا وكلهم يذرفون الدموع السخينة وليس من يوثي لحالمهم . ورأى اخوين عمر الاكبر منهما عشرون سنة والاصغر اثنتا عشرة سنة فتقدَّم احد تجار صور فساوم الاكبر بمائتة درهم اما الاصغر فلم يرض به لصغر سنه . ولما اراد ان يفصل بينهما اتى الصغير نفسه بين ذراعي اخيه يناشده الله بالآ يفصلهما ثم علا بكاهما وتصادعت زفرائهما دون ان يرق لها قلب المشتري فضرب الصغير ليأخذ ماله ويذهب به الا ان سلوانس لم يتألك عند هذا المشهد فتقدَّم وصرخ : انا آخذ الزوج بالف وخمسة درهم . فأنفذ المثنى البيع لسلوانس وخلَّص الاخوين من ايدي التاجر اللئيم ليجعلهما في خدمة سيده يهوديت

ولما انتهى بيع العبيد ولم يجد سلوانس ضالته اخذ ينشدها في محل آخر . وفيما هو سائر رأى اعلاناً كان يحملُه احد المارة وينادي به في الازقة . وكان مُفاد الاعلان " ان في غد ذلك النهار تقام ألعاب يتصارع فيها بعض اسرى اليهود او يُلقون للوحوش (ستأتي البقية)

مَطْبُوعَاتُ شَرْقِيَّةٍ جَدِيدَةٍ

ارشاد الالباء الى طريق تعليم الف باء

للعلامة المحقق الشيخ طاهر الجزائري

طُبِعَ فِي بَيْرُوتِ سَنَةِ ١٣٢١ ص ١٤٤

لا يزال جناب الشيخ العالم العامل طاهر افندي الجزائري يُعني العلوم الشرقية بتأليف حسنة ينهج فيها مناهج جديدة كان قرأها سابقاً أئمة اللغة العربية وواضعو